دعوة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي(1503-1427م) في الجنوب الجزائري وحواضر غرب إفريقيا

The call of Imam Muhammad bin Abd al-Karim al-Maghili Algeria and West Africa (1427-1503 CE) in southern

عبد الكامل عطية(*)[1]،

[1]جامعة الوادي، attia-abdelkamel@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2020/10/03 **تاريخ القبول**:12 /2020/10

ملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على أحد أهم الشخصيات الإصلاحية الجزائرية ابان القرن الخامس عشر والتي تجاوزت دعوتها قطر الجزائر لتصل الى غرب إفريقيا وهو الإمام والمصلح عبد الكريم المغيلي،الذي كرس حياته للدعوة والإصلاح في سبيل الله في منطقة الجنوب الجزائري وغرب افريقيا،ورغم العراقيل التي واجهته إلا انه لم يتخلى عن دعوته الى غاية وفاته. وللإجابة عن الإشكالية نطرح الأسئلة الآتية من هو الإمام المغيلي؟ و ما هي دوافعه للإصلاح ومحاربة واليهود ستمكننا هذه الورقة من معرفة الجهود التي بذلها المغيلي رغم العراقيل التي واجهته والآثار الفكرية والعلمية القيمة التي تركها بين سكان المنطقة.

كلمات مفتاحيه: دعوة، المغيلي، غرب، افريقيا، الجزائري، الإمام.

Abstract:

This study sheds light on one of the most important reformists in during the fifteenth century and whose call exceeded Algeria to West Africa, which is the imam and reformer Abdel Karim El-Meghili, who devoted his life to advocacy and reform in southern Algeria and West Africa.

Despite the obstacles that he faced, he did not give up his call until his death.To answer the problem, we ask the following questions: Who is Imam al-Maghili? What are his motives for reform and the fight against the Jews, and what are his motives for reform and fighting the Jews?

This paper will enable us to know the efforts he made despite the obstacles he faced and the valuable intellectual and scientific implications he left among the region's residents.

Keywords:in southern;Abd al-Karim; West Africa;The call;al-Maghili

1. مقدمة:

شهدت الجزائر خلال القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر عديدة التحولات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية،ولقد ساهم في هذا التحول الذي عرفته المنطقة وغيرها من مناطق غرب افريقيا عديد الشخصيات الفاعلة التي كان لها صدى مسموع لدى الساكنة في ذلك الوقت ومن هذه الشخصيات الجديرة بالدراسة والتي تركت آثارا فكرية وعلمية وإصلاحية كمرجعية لحل كثير المشاكل العالقة في تلك المجتمعات وهي شخصية الأمام والمصلح عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي لم يتخلى عن أفكاره الدعوية والإصلاحية رغم العراقيل التي واجهته خاصة أمام طائفة اليهود بتوات الى غاية التحاقه بالرفيق الأعلى.

1- نبذة عن حياة الأمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

أولا: نسبه ومولده:

هو محمد بن عبد الكريم المغيلي ،بن عمر بن مخلف بن علي بن الحسن بن يحي إبن علي بن محمد بن احمد بن عبد القوى ب العباس بن عطية بن مناد بن السري إبن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي مكررة بن عبد الله بن أدريس بن عبد الكامل أبن حسن المثنى السبط بن فاطمة بنت رسول الله صل الله عليه وسلم[1]. ولد الإمام المغيلي في مدينة مغيلة[2]. سنة 831 ه موافق لـ 1427م[3].

ولقد اختلفت المصادر في تاريخ ميلاده فمها من تذكر سنة 1438م وسنة 1388م غير أن المرجح هو تاريخ 1427م لتطابقه مع الأحداث خاصة مراسلاته وتنقلاته لأصقاع العالم وخاصة إلى إفريقيا الغربية [4].

ورغم أن المصادر اختلفت حول تاريخ ولادته فإنها تتفق إجمالا على تاريخ وفاته التي كانت في سنة 1503م. وهناك شجرة أخرى بخزانة الشيخ عبد القادر سيدي سالم المغيلي ونصها:(الحمد لله وحده،وبعد فاعلم أيها الواقف على عمود نسب القطب الرباني والهيكل الصمداني،العلامة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني،فلا شك ولا ريب أنه شريف

أبنائه شرفاء،وهذا النسب زاد في الجد الثامن للشيخ وهو اسنا دور فهو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف إبن على بن الحسن بن يحي بن أسنادرو بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي إبن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب إلى أخر السلسلة).[5]

ثانيا: نشأته:

نشأ الإمام المغيلي بين أحضان عائلة مشهورة بالعلم والتقوى والتصوف. حيث ظهر العديد منهم الشيخ موسى بن يحي بن عيسى المغيليالمازوني، كما ترعرع ونشأ بين أحضان شيخ مغيلة محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب ،حفظ القرآن الكريم [6].في صغره كعادة أبناء المسلمين الميسورة،ثم اعتكف على دراسة العلوم العربية الإسلامية اللغوية والدينية والعقلية والنقلية على الشيوخ الإجلاء المشهورين وعلى رأسهم يحي بن يدير،والشيخ عبد الرحمن الثعالبي ومن أمهات الكتب الفقهية التي درسها: الرسالة ومختصر خليل،وأبن الحاجب، وأبن يونس،واخذ التصوف عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي[7].

وأخذ الحديث عن الإمام الشيخ سعيد المقري وعلوم العربية عن حي بن يدير وتربى على يد أبي العباس الوغليسي[8].ووصفه أحمد بابا التمبكتي:« خاتمة المحققين الغمام العلامة الفهامة القدوة الصالح السني احد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبعض أعداء الدين...»[9].

ووصفه محمد بن عبد الله بن مصباح الحسني حيث قال: « يعتبر الشيخ الفقيه الصدر الأوحد،أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، من أكابر العلماء وأفضل الأتقياء،وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[10].

ثالثا: شيوخ الإمام المغيلي :

1- الإمام العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي.

2- أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي

3- يحي بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا قاضي توات[11].

وعندما توسعت مداركه ومعارفه،وتزود بما يكفيه هو الآخر للتدريس كشيخ وأستاذ فتتلمذ عليه عدد لا بأس به من طلاب العلم ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

1- الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصميالمسوفي.

2- الشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي وغيرهم .

3- محمد بن عبد الجبار الفجيجي[12].

4- عمر بن احمد البكاي بن محمد الكنتي[13].

5- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي[14].

وعاش الإمام المغيلي في عصر برز فيه الكثير من العلماء الذين تركوا لنا بصماتهم في مختلف فنون العلم وضروبه. ولازالت آثارهم باقية لحد الآن. ونذكر من هؤلاء :

1- الإمام الحافظ السيوطي الذي اختلف معه الإمام المغيلي في مسألة المنطق اليوناني و وقعت بينهما مراسلات في هذا الشأن حيث رفض السيوطي المنطق اليوناني،وأنكر على المغيلي ذهابه هذا المذهب[15].

2- محمد بن مرزوق الحفيد (ت 1438م)[16].

3- علي بن محمد التالوتي(ت 1490م)[17].

4- أحمد الونشريسي(ت 1509م)[18].

5- محمد بن أبي مدين التلمساني (ت 1509م)[19].

6- إبراهيم بن منصور التلمساني(ت 1459م)[20].

7- محمد بن عبد الله التنسي(ت 1494م)[21].

2- أثاره العلمية:

وقد خلف المغيلي تراثا علميا معتبرا تمثل في الإجابة عن الأسئلة الفقهية، وكذلك كتبا تدارسها من بعده تلامذته ومخطوطات كثيرة متنوعة لا تزال تحتفظ بها الخزائن ومنها لم يعد موجودا لعوامل عدة طبيعية وبشرية. ومن مؤلفاته نذكر منها ما جاء في (نيل الابتهاج) لأحمد بابا التمبكتي و(البستان) لأبن مريم:

- البدر المنير في علوم التفسير
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح
- مغني الخليل ،وهو شرح على مختصر خليل اختصر فيه جدا ،وصل فيه للقسم بين الزوجات.
- إكليل المغني.
- شرح بيوع الآجال.
- تأليف في المنهيات.
- مختصر تلخيص المفتاح وشرحه[22].
- مفتاح النظر في علم الحديث.

- مفتاح الكنوز.
- شرح جمل الخونجي في المنطق.
- منح الوهاب منظومة في علم المنطق، ووضع لها ثلاثة شروح.
- تنبيه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين[23].
- شرح خطبة المختصر.
- كتاب فتح المبين وفهرست محتوياته.
- عدة قصائد منها الميمية على وزن البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[24].
- أجوبة عن أسئلة الأسقياء محمد
- جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام[25].

وقد اتجه الإمام المغيلي كغيره من العلماء إلى المشرق لأداء فريضة الحج وزار مقام الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأرتجل أمام ضريحه الشريف قصيدته الشهيرة،التي يقول في مطلعها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم.....وهذه حضرة المختار في الحرم

جملك عليك بالقطران...وإذا أردت الربح عليك بالسودان.

ونظرا إلى أن اليهود كانوا بارعين في ممارسة النشاط التجاري فقد كونوا ثروات طائلة وأصبح أكثرهم من فئة الأغنياء مما جعلهم يتنفذون لدى أصحاب القرار في البلاد سواء في الشمال أو في الجنوب[26].

وهذا الذي جعل الإمام المغيلي يلاحظ خروج الأمراء عن الجادة وانغماسهم في الملذات واستسلامهم لأصحاب المال من اليهود وغيرهم من الأوربيين،فانف العيش هناك،وتاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون في مقدوره أن يقوم بواجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.ففي هذه الظروف توجه الإمام المغيلي إلى توات معبرا عن قلقه على مصير الأمة والشريعة الإسلامية في عهده ،واستنكر سيطرة اليهود على الاقتصاد فدعا لمحاربتهم[27].

3- أوضاع واحة توات:

غادر المغيلي تلمسان إلى السودان الغربي في أواخر السبعينيات من القرن الخامس عشر الميلادي، وقصد واحات توات بالجنوب الغربي للجزائر،ووصل إليها في حدود سنة 1479م، وأستقر بعض الوقت لدى أولاد يعقوب في واحة تمنطيط.ثم انتقل إلى واحة بوعلي الهني وأسس زاويته هناك[28].

وقد كانت واحة توات في هذه الفترة عبارة عن ممالك وإمارات صحراوية صغيرة يسيطر على أقدارها السياسية كبار التجار والأثرياء وذوو

الجاه والنفوذ الديني والاقتصادي،ويهتم الناس فيها بقوافل التجارة الصحراوية التي تغدو وتروح بين موانئ الشمال الساحلية،ومدينةتمبكتو في أعماق الصحراء الجنوبية،ومن ضمنها القوافل التجارية التي تنطلق من وهران وتلمسان وفاس ومراكش وتمر على واحات توات في ذهابها وإيابها.وكانالمغيلي على علم وإطلاع واسع بحقيقة هذه التجارة الصحراوية وما تدره من أرباح،لان تلمسان في عهده كانت لها صلات تجارية هامة ووثيقة بواحات توات ومعظم مناطق السودان الغربي[29].

وقد كانت واحة توات محطة من محطات الالتقاء التجاري في الجنوب الجزائري بين تجار الشمال الإفريقي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء.وكان لليهود دور كبير في تحقيق أرباح تجارية طائلة من هذه التجارة ومن المعروف عن التجار اليهود حسن تدبرهم لأمور التجارة . ولما وصل الإمام المغيلي إلى توات وجد وضعا دينيا واجتماعيا واقتصاديا سيئا للغاية وغير متوازن لا يخدم مصالح السكان الأهالي،وإنما يخدم فئة خاصة من اليهود وبعض المتعاونين معهم من التجار الجشعين،فشمر عن ساق الجدد لتقويم هذا الوضع الخطير والعمل على إصلاحه وإن تطلب استعمال القوة في ذلك[30].

و لقد عاشت في حواضر المغرب الأوسط وفي أقصى جنوبه جاليات يهودية بأعداد معتبرة ،ويلاحظ بشكل ملفت التواجد اليهودي الهام بإقليم توات وقورارة منذ العهد الزياني خاصة، ويرجع ذلك –بالأساس- إلى سياسة التسامح الديني، وإلى الإضطهاذ الذي تعرض له اليهود بعد سقوط الأندلس من قبل محاكم التفتيش الصليبية العنصرية .وبحكم أهمية الإقليم التجارية كما أسلفنا ووضعه الاجتماعي والسياسي أحرز اليهود على مكانة

اجتماعية واقتصادية هامة في المجتمع التواتي،الأمر الذي أدي إلى احتكارهم للنشاط التجاري والسيطرة على تجارة الذهب التي زادت في ثرائهم،وأصبح اليهود لا يتوانون في التدخل في فرض نفوذهم على رؤساء الساسة وزعماء القصور والقبائل في توات ،وهو وضع تتقاسمه حواضر الشمال في عهد بني زيان ومنها حاضرة تلمسان الموطن الأول للشيخ المغيلي[31].

ويعد هذا الوضع من العوامل الرئيسة التي دعت الغمام المغيلي للانتقال إلى الصحراء ،لأنه وجد اليهود أكثر نفوذا وسطوة وتدخلا في شراء ذمم المسؤولين والساسة وإلحاق الأذى بالمسلمين ،مما جعله يشن عليهم حملة شعواء ويتخذ منهم مواقف صارمة ويحاربهم بلا هوادة بقصد إصلاح الوضع[32].

ولعل مجيء المغيلي إلى واحات توات كان استجابة منه لنداء شيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما نصحه: « بأن لا يعشر أهل سفاهة وأن لا يستوطن مكان إهانة ».

4- الإمام المغيلي في توات:

غادر الإمام المغيلي تلمسان متجها نحو الجنوب الجزائري قاصدا توات، نظرا للعوامل السالفة الذكر. وكانت أول محطة يتوقف عندها هي منطقة أولاد سعيد عاصمة منطقة القورارة. وهذا حوالي سنة 1452م،وقد رحب به أهالي المنطقة واجتمعوا حوله. وباشر التدريس والوعظ بها. وما يدل على أن الشيخ المغيلي استقر بالمنطقة لفترة هو الآثار التي خلفها وتتمثل في وجود قبر زوجته زينب بنت الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر العاصمة،وقبر نجله علي الذي مات صغيرا،حسب الوثائق التاريخية،ويعرف في المنطقة باسم (الزيعلي) بلغة زناته.أما عبد الله فهو عاش بعد أبيه وخلف ولدين هما:أبو القاسم محمد سماه باسم أبيه،عبد الرحيم. ومنها انتشرت وتفرعت سلالة الشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي بالأراضي التواتية[33].

و لقد وجد الإمام المغيلي طائفة يهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش الذي أكتسبته بالطرق غير الشرعية كالرباء والاحتيال وغيره من الطرق التي تعاهدها اليهود في مختلف تعاملاتهم التجارية،وقيامهم بتنمية التجارة غير المشروعة عن طريق استغلال الضعفاء ،واحتكار الأموال والسلع والتجارة وبضائعها.فطغت وتجبرت على الأهالي واستغلت سذاجتهم وطبيعتهم لتحقيق الأرباح الفاحشة[34].

وقد لاحظ "مالفانت" الجنوي قبل المغيلي بحوالي نصف قرن هذه الوضعية السياسية والاقتصادية الخاصة ليهود توات وتمنطيط:(يتكاثر اليهود هنا – تمنطيط- وتسير حياتهم في سلم،وظل الرؤساء الذين يدافع كل واحد منهم على أتباعه، ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة وتسير التجارة بواسطتهم،ويضع الكثيرون منهم ثقتهم فيهم)[35].

5- أسباب التي دعت المغيلي لإعلان الحرب ضد اليهود:

لم يقم الإمام المغيلي بإعلان الحرب على طائفة اليهود المتواجدة في توات من فراغ بل أن هناك أسباب عديدة كانت وراء ذلك. ولعلنا هنا سنقتصر على ذكر أهم الأسباب فقط ،والتي منها على النحو الآتي:

1- قيام يهود تمنطيط ببناء وتشيد بيعة كبيرة لهم تجاوزت كل الحدود في ضخامتها،كما بنو بيعا أخرى في واحات توات الأخرى التي يتواجدون فيها، وكأنها مملكة يهودية لهم وليست أرضا إسلامية.وقد اعتبر المغيلي ذلك مساسا بالشعور الإسلامي،وكرامة المسلمين الدينية،وتطاولا على شعب توات المسلم،

واعتداءا على سياسته الوطنية، وألى على نفسه أن يقاوم هذا التطاول والاستعلاء اليهودي، وأن يعيد اليهود إلى مكانهم الطبيعي كجالية يهودية في بلاد إسلامية[36].

2- تجاوز اليهود للحدود الشرعية والاستعلاء على المسلمين وتمردهم على الأحكام بتولية أرباب الشوكة وخدمة الحكام والأعيان. وذلك بأنهم سيطروا على الوضع ووضعوا الحكام إلى جانبهم واشتروا ذممهم،حتى أصبحوا يأتمرون بأوامرهم وينتهون بنهيهم،فأدى بهم ذلك إلى تخطي الحدود الشرعية في بلاد الإسلام توات.

3- تساهل سكان توات المسلمين مع هؤلاء اليهود. فقد فاق كل الحدود،إذ قربوهم إلى أنفسهم وعيالهم وأمنوهم على عيالهم وتجارتهم، مع أن اليهود لا مروءة لهم ولا أمان[37]. وهذه الصفات توارثوها منذ أن تشتتوا عبر أصقاع العالم. يديرون المكائد والدسائس ويؤججون الحروب والفتن بغرض الاستفادة منها، من خلال تسويق منتجاتهم المختلفة ،وقد خشي الإمام المغيلي مما هو أخطر وهو تأثير اليهود على المسلمين في حياتهم الخاصة والعامة ،خاصة أمام استفحال نفوذهم السياسي والاقتصادي في واحات توات وحواضر الشمال الإفريقي.

4- ضعف الجماعة التواتية ممثلة في شيوخ القبائل والمقاطعات،وعدم تمكنها من تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية وأخذها بالعرف وغن خالف الشرع.

5- لقد كان لشيوخ القبائل السلطات الواسعة حيث كانت بيدهم أسباب التولية والعزل. فكان بإمكانهم إجبار القاضي على الإفتاء بما تمليه أهواؤهم،لأن عزلهم يتوقف على شهاداتهم الحسنة اتجاهه[38].

وأما السبب المباشر يتمثل في : حادثة اليهودي الذي إدعى الإسلام وانتسب إلى المهاجرين،حيث أنه ظل يصلي بالناس مدة أربعين سنة في مسجد قصر عمر بن يوسف.وكان منافقا مخادعا في الدين،فقد بلغ به الأمر إلى أن يرش المصليين والمسجد بالبول في صلاة الفجر،ولم يتمكن أحدهم من إظهار خبثه حتى جاء الغمام المغيلي وكشف أمره، فتمكن من إبراز حقيقته،ففر اليهودي وتبعه الإمام المغيلي وتمكن منه وقتله بمنطقة القورارة[39].

6- موقف العلماء من دعوة المغيلي ضد اليهود:

كان من المفروض أن تجد دعوة المغيلي في تمنطيط صدى واستحسانا ودعما وتأيدا،من ذوي الحل والعقد،خاصة الفقهاء،ولكن قاضي توات أبا عبيد الله العصنوني،عارضها ووقف ضدها، واستنكر على المغيليإتجاهه،فالتجأ إلى علماء فاس وتلمسان،وتونس،وكاتبهمواستفتاهم،وطرح عليهم الفكرة وطلب رأيهم فأيده

البعض وعارضه آخرون،وممن عارضه بتلمسان مفتيها ابن زكري والقاضي أبو زكريا يحي بن أبي البركات،وعبد الرحمن بن أبي سبع، وبفاس مفتيها الماواسي[40].

وقد أخذ الإمام المغيلي برأي المؤيدين له في القضية وجمع أصحابه وأنصاره،وطلب منهم أن يحملوا المعاول والفؤوس ويذهبوا معهم لهدم بيعة اليهود فاستجابوا لرغبته،وخربوا بيعة تمنطيط وهدموها عن آخرها كما هدموا البيع الموجودة في الواحات الأخرى،وذلك في حدود سنة 1482م. ووعد كل من يقتل يهوديا معارضا بإعطائه سبعة مثاقيل ذهبية،فغضب اليهود وحقدوا عليه،وصاروا لا يسلمون عليه وعلى أصحابه عندما يمرون عليهم، وأخذوا يروجون بعض الأقاويل ضده وضد أصحابه،فأغتاظ من ذلك،وقاموا برد الفعل،فهاجم المدعو مبروك بن أحمد جمعا من اليهود تخفيف وقتل واحد منهم[41].

لقد حققت ثورة "الإمام المغيلي" جملة من النتائج نذكر منها ما يلي:

1- القيام بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية وذلك بإعطاء الأولوية لأحكام القضاء والعلماء.

2- سحب جميع السلطات من رؤساء القبائل خاصة الذين ناصروا اليهود.

3- إنتقال عاصمة توات من تمنطيط إلى الناحية الشرقية من الإقليم ، وأصبحت بوعلي هي عاصمة إقليم توات،حيث تضم زاوية المغيلي صاحبة كل هذا التغير الذي جرى في الإقليم.

4- تكفير أنصار اليهود،فقد حكم المغيلي بكفر كل من ناصر يهود توات. وبذلك تسبي ذرا ريهم ونسائهم وتصادر ممتلكاتهم.

5- اختلاف مصادر القضاء والفتوى في إقليم توات ففي الجهة الشرقية يعتبر الإمام المغيلي القاضي والمفتي الوحيد،و أما الجهة الغربية فقد كان قاضيها الشيخ عبيد الله العصنوني معارض الإمام المغيلي[42].

6- إجلاء اليهود –جميعا- من أراضي توات. وطردهم وتشريدهم في مختلف نواحي البلاد

7- تأسيس جهاز شرطة لحماية النظام بإقليم توات، وقد أشرف على تسيير هذا الجهاز عبد الجبار ابن الشيخ المغيلي[43].

وجهاز الشرطة هذا كانت له فروع في مختلف القصور التواتية الخاضعة لنفوذ الإمام المغيلي،وغيرها من القصور الواقعة في غرب الإقليم.ولقد لقى هذا الجهاز رضي الأغلبية من سكان توات،فقد كان عبد الجبار بن المغيلي من الذين

عرفوا بالاستقامة والتقوى ،فكان يناديه عبيد الله العصنوني دائما بسيدي عبد الجبار[44].

7-رحلة الإمام المغيلي إلى فاس للدفاع عن قضيته:

بعد الأحداث التي جرت بين الغمام المغيلي والشيخ عبيد الله العصنوني حول المسائل الفقهية الآتية:

1- هل يجوز بناء بيع وجوامع جديدة في أرض اختطها الإمام المسلم؟.

2- هل يجوز دفع الجزية لرؤساء القصور المسيطرين على نظم الحكم العشائري في تلك الفترة لخلوا البلاد من حاكم أو غمام يديرها؟.

3- هل يعتبر اليهود المقيمون بين جنبات المسلمين ذميين؟ وهل عليهم دفع الجزية ولمن تدفع؟هذه أهم أوجه الخلاف بين الإمام المغيلي وعلماء تمنطيط.فأصدر كل فريق فتواه حسب ما يراه وظهر له[45].

و تضارب الآراء والأقوال وتعارضها حول قضية هدم" بيع" اليهود،انتقل الإمام المغيلي إلى فاس ليشرح قضيته لعلمائها، ولعله ينجح في إقناع علمائها المعروفين بمكانتهم العلمية المرموقة خلال تلك الفترة،ويوضح لهم الأسباب والدوافع من تحمل عبء هذه القضية الشائكة.وعندما وصل إلى فاس خص باستقبال حافل. وقد كان لحاضرة فاس تقاليد خاصة عند استقبال العلماء و الصلحاء من أقطار العالم الإسلامي في البداية من طرف السلطان والعلماء المغاربة وحتى المعارضين له،ثم لما جمع السلطان العلماء والفقهاء وتم نقاش القضية في جلسة طويلة،وحادة وساخنة،تمكن الحاقدون على المغيلي من تغير مجرى القضية،وتغلبوا على عقلية السلطان،وأخرجوا القضية من سياقها الديني والاجتماعي إلى سياق سياسي بحت،وصور له المغيلي على أنه صاحب طموح أو طموحات سياسية وأن عمله بتوات يخفي من ورائه أهدافا سياسية[46].

غير أن المغيلي دافع بشدة عن موقفه،ورفض فكرة الطموح السياسي الذي حاولوا أن يلصقوه به وبقضيته،وأكد أنه تصرف في إطار الشريعة الإسلامية للحفاظ على الطابع الإسلامي والشخصية الإسلامية لشعب توات المسلم،وغادر فاس غاضبا وعاد إلى واحة توات وقلبه يطفح بالمرارة والألم من جراء المواقف السيئة والمؤلمة التي اتخذها علماء فاس ضده،وقيل إنه حلف أن لا يجتمع مرة أخرى مع أي سلطان،ولكنه سيلتقي فيما بعد بالسلطان الأسقيا محمد الكبير في غاو وسيجيب عن أسئلته الفقهية، كما أنه سيلتقي بالأمير أبي عبد الله محمد بن يعقوب في "كاتسنا"،ويخدمهما ويقدم لهم نصائح،ومواعظ وإرشادات يتنبأ فيها بما يحدث اليوم في فلسطين وبلاد المشرق الإسلامي من أحداث[47].

ويبدو لنا واضحا أن قضية توات لها وجهين ،الوجه الأول مبني على الظاهر ويتركز على الجانب الفقهي الذي لا يجيز هدم كنائس اليهود إذا ما استوفى عقد أهل الذمة شروطه،وهو الذي أوضحه الإمام العصنوني في سؤاله مخفيا الوجه الثاني المبني على الظاهر وباطن المسألة والمرتكز على الجانبين الفقهي والسياسي،إذ بسبب ثورة المغيلي على اليهود يعودو إلى نقضي العهد وخروجهم من الذمة، ومن هنا اختلفت ردود العلماء حول القضية بين مؤيد للإمام العصنوني ومنتصر لموقف الإمام المغيلي معلن الثورة على اليهود[48].

ولمعرفة ردود علماء وفقهاء فاس وتلمسان وتونس وأجوبتهم حول المسألة . سنورد بعضها للإيضاح، ولتبين من أيد الإمام المغيلي في مسعاه ومن خالفه الرأي في ذلك.

8- أجوبة بعض الفقهاء حول قضية هدم كنائس يهود توات:

1- رسالة الشيخ عبيد الله العصنوني لفقهاء فاس وتلمسان:

« سيدي رضي الله تعالى عنكم،وأدام عافيتكم ومتع المسلمين بطول حياتكم.جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها نزاع بين طلبة الصحراء،وهي كنائس الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء.وقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة،وذلك أن أفتيت بتقريرها...والصواب عندي تقريرها إتباعا لقول الغير ولجري العمل به في كثير من مدن المغرب ،وهي مما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده...»[49].

2- جواب فقيه فاس في الموضوع:

يقول فقيه فاس الغمام أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي ما نصه: « الحمد لله وحده دائما الجواب والله سبحان الموفق للصواب بفضله،أن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء،وهي كلها ديار الإسلام،فلا تبتغي المسامحة بإقرار الكنائس فيه للكفار،وإن قال به جماعة من العلماء،إلا أن يكون ذلك شرطا لهم في عقود جزيتهم فيوفي لهم مما عود لهم في جزيرتهم هذا مذهب المدونة،وهو قول ابن القاسم المعمول به والمعروف له فلا يحسن العدول عنه ظهوره ووضوح وجه،إلا أن يثبت عن هذا المفتي بتقرير الكنائس المذكورة أن حدوثها كان شرطا مشروطا لليهود في عقد جزيرتهم ،كما جرى العمل بذلك في كثير من بلدان الإسلام،فتصبح فتياه ويحسن تقرير لموافقته للمشهور، إلى أخر ما جاء في جوابه »[50].

3- رأي الونشريشي بوجوب هدم الكنائس:

يقول فيه: « الحق الأبلج الذي لاشك فيه ولا محيد عنه،أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامتة لتلول المغرب الأوسط المختطة

وراء الرمال المتهيلة التي لا تنبت زرعا ولا ضرعا، بلاد إسلام باختطاط لا تقرر لملاعين اليهود كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الإذن الشرعي المعتبر وعدمه...ثم يقول: فلا يتصور خلاف بين ابن القاسم والغير في المختطة للمسلمين كهذه،إلا بعد تحقق الإذن من مشايخ المكان والسكان تلك الأوطان،فيجب على محدث الكنائس الإثبات والبيان،لأنهم مدعون لأمر ،الأصل عدمه وما سواه فإرجاف وهذيان،فإذا أثبتوا الإذن المنوط بالمصلحة إذاك كانت المسألة خلافية وحكم الحاكم إذا اتصل بأحد قوليها يرفع الآخر...»[51].

4- جواب الحافظ التنسي :

يقول في مقدمته بعد البسملة والحمد لله : « أعلموا نور الله بصائركم،وطهر من إتباع الهوى سرائركم،أن الشريعة المحمدية نسخت كل ملة،وشفت القلوب من كل علة،إذ أبرزت شموسها الساطعة،وبدت براهينها قاطعة،وقام بحفظها العلماء والأعلام عصرا فعصرا...ثم أطال في الموضوع وذكر أدلة أيد بها موقف الإمام المغيلي، ومن جملة الأحاديث التي أوردها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحدث كنيسة في الإسلام ولا يجدد ما هدم منها)[52].

5- جواب الفقيه محمد بن يوسف السنوسي التلمساني :

« إلى الأخ في الله تعالى،القائم إنه إندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها علامات الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية،وعمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبن عبد الله محمد ابن عبد الكريم المغيلي ،حفظه الله تعالى حياته وبورك في دينه ودنياه،وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة...لقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية،والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود أذلهم الله تعالى وأخمد كفرهم- للكنيسة في بلاد المسلمين،و أنكم حرضتم أهل تمنطيط على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم،فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء،فبعثتم لأجل ذلك لبلادنا أسئلة ومكتوبات تستنهضون بها همم أهل العلم ،ينظروا في المسألة نظير أهل العدل والإنصاف،ويبينوا فيها الحق بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط، وتشغيب يرد من أهل الأهواء والانحراف...سوى الشيخ الغمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الجليل التنسي ،بارك الله تعالى له ومتعه ومتع المسلمين ببقائه و أمده بطول الصحة والعافية،فغنه جزاه الله تعالى خيرا قد مد في إبانة الحق ونشر أعلامه النفس...أعظم قبس على ما تتقون عليه في جوابه المكتوب.هذا بآخره فليعول أهل

تمنطيط وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب،وليبينوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازه وإصابة وجه الصواب،والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق...»[53].

6- جواب الفقيه الرصاع التونسي:

« الحمد لله وحده سلام الله الأتم ورضوانه المبارك الأعم يخص سادتنا ومواليا الفقهاء والعلماء ومن يقف عليه من الأجواد حفظهم الله . سألني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتريه أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة،وليس للمسلمين أن يبيعوا الأراضي المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه.. ولا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكناهم إذ هم يؤدون الجزية وهم تحت ذمة المسلمين .وإذايتهم ومناقصة أموالهم وحيوانهم وبهائمهم لا يحل ذلك فإنهم تحت ذمة المسلمين وجزيتهم بسنة المسلمين ،تؤخذ منهم طوعا وكرها، ولا يقصدون بأذية ،وإذ صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام »[54].

7- جواب القاضي أبو زكريا أبو البركات التلمساني:

« الحمد لله...لا خفاء أن من معه أدني مسكه من العقل فضلا عمن إتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقها التي يقوم أحدها مقام جميعها لا يقول بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به،كما تقرر من أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولاسيما إذ بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقض تحريم الخوض في ذلك ،كما هو المقرر في تغير المنكر إذ كان مؤديا إلى منكر أعظم منه،ولو كان المنكر الذي أريد تغيره مجمعا عليه .وأي مفسدة أعظم مما يثير الهرج ويحدث الفتن المؤدية لقتل النفوس وسلب الأموال واشتعال النار الحرب بين الخلق في سائر الأفاق،إذ مثل هذا إذا تسومح فيه وحكم به في موضع لا ينفك في تطرقه منه إلى غيره من سائر البلاد.لما تحقق من كون أهل الشر والفساد يتعلقون بأدنى شيء من الأسباب الموصلة إلى أغراضهم الفاسدة وإن كانت على غير وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فكيف بما يراد بناؤه على أصل ديني ولاسيما بين القلوب المشحونة بالضغائن حتى بين العلماء المتعاطين للتكلم في ذلك؟ إذ لأمتراء في عدم اتفاقهم،واختلافهم آيل إلى التعرض للأخذ في أعراض بعضهم بعضا والغيبة والتكذيب حسبما يقتضيه الاختلاف والجدال »[55].

وبعد استعراضنا لأهم الأجوبة والردود على القضية التي رفعها الإمام العصنوني، وانتقل الإمام المغيلي من أجل الدفاع عنها والرغبة في الحصول

على تأييد من علماء فاس وتلمسان وتونس، إلأ إنه في الأخير خابت أماله في علماء فاس عندما كان يعتقد أن القضية ستحسم لصالحه،وتم إخراج القضية من سياقها الفقهي والاجتماعي إلى سياق سياسي ،وصور للسلطان المغربي أن المغيلي يخفي طموحات سياسية من وراء ذلك ،وهذا ما جعله يتألم على الحال الذي آلت إليها الأمة الإسلامية،إلا إنه إستطاع أن يحصل على تأيد بعض الفقهاء الذين ناصروه وأكدوا على ضرورة هدم بيع وكنائس اليهود استنادا إلى الشريعة الإسلامية. وفي الأخير يمكن أن نختم القضية بما أورده **سراج الطرطوشي حول القضية**:

« فأما الكنائس فأمر أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" -رضي الله عنه- أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام ،ومنع أن تحدث كنيسة،و أمر أن لا يظهر صليب خارج من كنيسة إلا كسر على رأس صاحبه.وكان عروة بن محمد يهدمها.وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين.وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز، وأمر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حادثة، وهكذا قال الحسن البصري من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحادثة،ويمنع من بناء ما خرب »[56].

9- رحلة الإمام المغيلي إلى السودان الغربي:

بعد أحداث توات وتمنطيط،عزم الإمام المغيلي وأنصاره على مواجهة بني وطاس بالمغرب الأقصى الذين كانوا يمالئون اليهود ويستخدمونهم في مناصب عالية بجهات كثيرة في بلاد المغرب الأقصى،ولكن قوات الطرفين لم تكن متكافئة ،لأن قوات السلطان أحمد بن يحي بن عمران كانت أكثر عددا وعدة،فتفرق أنصار المغيلي ،وعادوا أدراجهم إلى ديارهم[57].

أما الإمام المغيلي فتوجه إلى بلاد "الأهير" شمال نيجيريا ومنها توجه إلى بلاد الهوسا، ثم استقر بمدينة تكدا: « وإجتمع بصاحبها وإقراء أهلها وانتفعوا به »[58]،والتقى خلال رحلته إلى تكداء الفقيه محمد بن أبي التازختي، والفقيه العاقب إبن عبد الله الأنصمنيالمسوفي[359]،والفقيه الشيخ عمر الكنتي، الذي صار تلميذه ومريده وخلفه في الطريقة القادرية بغرب إفريقيا .وبنى في مدينة أغادس مسجدا، كما صار مستشارا سياسيا وفقيها لأميرها[60].

ومن تكدا انتقل الإمام المغيلي إلى كانو، ثم إلى كاتسينا،واستقر هناك بعض الوقت تزوج. وأنجب واتصل بأميرها عبد الله بن محمد بن يعقوب الذي طلب منه أن يكتب له: جملة مختصرة في ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام.فأجابه لرغبته وكتب له تلك الرسالة وشرح له فيها كيف يمكن أن يحكم بلاده وشعبه ورعيته وفق الشريعة الإسلامية،وأن يقاوم العادات الوثنية[561].

وقد اتضح من خلال ما كتبه الإمام المغيلي في هذه الرسالة أنه على إطلاع واسع بأوضاع السودان الغربي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية،وبسيرة سلوك أمرائه وسلاطينه وعادات سكانه،كما اتضح أنه كان شديد الحرص على أن يسود الشرع الإسلامي في هذه البلدان،وشعوبها ،وحكامها،ولأمرائها،قولا وعملا[62].

فقد أعطى المغيلي في رسائله إلى أمراء السودان بيانا ثانيا وتصورا واضحا للمفاهيم التي يجب أن يلتزم بها الحكام والمحكومون من وجوب استشعار أن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب إحسان النية فيها،وما يوجب على الأمير في خاصة نفسه ومجلسه وبطانته وترتيب مملكته[63].

وبعد إقامة طويلة في بلاد الهوسا انتقل المغيلي إلى بلاد التكرور في فولتا العليا شمال السنغال،غرب بلاد غانا القديمة،والتحق بمدينة غاو عاصمة مملكة سنغاي،والتقى بأميرها الأسقيا محمد الكبير الذي حكم مملكة سنغاي بين 1493م و1528م[64].

وقد نصح الإمام المغيليالأسقيا "محمد الكبير" بالحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية والتزام الجادة الإسلامية في حكمه فأكرمه الأسقيا وقربه وجعله مستشاره ووجه له أسئلة فقهية بغية الإجابة عنها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام،وأن نصائحه للأسقيا محمد وصلتنا وهي على شكل أجوبة لأسئلة طرحها عليه الأسقيا تتعلق بانشغالاته السياسية وقضايا تنظيم الإمارة وأحوال الرعية. ومما جاء في مضمون الأجوبة السبعة ما يلي:

1- إن السلطان راع لا مالك.
2- إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس.
3- تقريب أهل الذكر واستشارتهم.
4- وجوب من تجب مجاهدتهم.
5- اتخاذ المحتسب وبيت المال.
6- وجوب محاربة العصاة لأحكام الله.
7- محاربة المفسدين ومدعي السحر[65].

وعلى ضوء هذه الأجوبة نستخلص أن الإمام المغيلي اجتهد في بحث مسائل السياسة الشرعية وإجاد حلول للقضايا الشائكة ،وخاصة تلك التي كانت تتميز بها الممالك الإفريقية ،وإن فتاويه للأسقيا تعد بمثابة قانون شرعي يجمع المسائل التي تنظم الدولة وأحوال المجتمع ،وقد أخذ بها الأسقيا وطبقها في مملكته. كما أخذ أمير كانوا بنصائح الإمام المغيلي .وعليه فإن أفكار ونظريات

المغيلي السياسية أخذت طريقا للتجسيد في بلاد السودان الغربي،وبفضل واقعية هذه الأفكار وتلاؤمها مع الخصوصيات الإفريقية صمدت تلك الأحكام الشرعية الصحيحة في مجابهة المستحدثات والعقائد الفاسدة ،وأعطت لإفريقيا جنوب الصحراء الأبعاد الإسلامية السياسية الأصيلة والقويمة[66].

و تعتبر أسئلة الأسقيا وأجوبة الإمام المغيلي وثيقة فريدة وهامة في تاريخ السودان الغربي خلال حكم الأسقيا. وتتمثل أهميتها في أنها تلقي بعض الأضواء على بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية لدولة سنغاي أثناء عهد الأسقيا،وتكمن تلك الأهمية خاصة في أن الأسقيا محمد الكبير تبدو عليه الصراحة في بسط عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية التي كانت تشغل باله ليعرفها المغيلي ويحاول الإجابة عنها حسب مفاهيم الإسلام.أما الإمام المغيلي فقد بدأ عليه في أجوبته أنه كان على إطلاع واسع بأوضاع السودانيين كما هي، ولذا فقد تضمنت إجابته أشياء جديدة –أحيانا- لم يتطرق إليها السلطان الأسقيا محمد الكبير في أسئلته[67].

وهكذا يتضح لدينا أن الأحكام الشرعية التي أصدرها الإمام المغيلي نابعة من المصادر الأصيلة،ومن فكر عالم متبحر وخبير بالشؤون الإفريقية. وهي بذلك تتسم بالجدية والعمق،ومبدأ الاجتهاد الواضح عليها،وقد راعت فتاوى الإمام المغيلي أوضاع وظروف الناس في تلك الفترة،مما جعل كتابات المغيلي تتبوأ أهمية بالغة كونها خاضت في صميم الشأن السياسي والاجتماعي للسودان الغربي.وهي إلى جانب المساهمات الضحلة مادة ثرية تكشف النظريات والآليات التي تعتمد في فهم سياسات الدول الإفريقية وترشيد نظام الحكم بها،ولهذا التفتت مؤخرا مراكز الأبحاث والدراسات الإستراتيجية إلى إعادة قراءة النظم والسياسات التي كانت تسير إفريقيا على عهد الدويلات الإسلامية, من أجل فهم سياساتها الحاضرة وفض نزاعاتها الحادة[68]. وهكذا استطاع فكر المغيلي التأثير على الناس في السودان الغربي. ويرجح أن تاريخ تأليفه لهذه الوثيقة كان سنة 1502-1503م[69].

لم يستقر المغيلي طويلا في غاو،إذ سرعان ما عاجلته الأخبار بأن احد أولاده قد قتل على يد اليهود في توات الذي سبق أن دخل معهم في صراع محتدم[70].

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام المغيلي قد طلب من الأسقيا محمد الكبير بإلقاء القبض على أفراد الجالية التواتية في سنغاي لتورطهم في مقتل أبنه أثناء غيابه في رحلته إلى السودان، وجاءت هذه الجريمة النكراء من تحريض يهود توات الذين أرادوا الانتقام من الإمام المغيلي نتيجة لتحامله عليهم –حسبهم- ،وتحريضه على هدم بيعهم كذلك،وكادالأسقيا يلبي طلب الإمام المغيلي غير أن

القاضي السوداني محمود كعت قد تدخل واحتج على ذلك،وعندما أطلق سراحهم،غضب الإمام المغيلي،وقفل راجعا إلى توات[371]. ليواصل حربه ضد اليهود وأعوانهم ومؤيديهم من التواتيين. وقد استقر به المقام بتوات وظل في صراعه وتحديه لهم إلى غاية التحاقه بالرفيق الأعلى عن عمر ناهز الست وسبعون سنة وذلك عام 1503م[72]

وقد خلف المغيلي وراءه تلاميذ يعدون بالآلف في غرب إفريقيا وما يزالون إلى اليوم يدينون له بالولاء الفكري والأدبي ،ويعترفون بفضله على مجتمعاتهم السودانية الإسلامية،وكتب كثيرون عنه وعن سيرته الشخصية والاجتماعية،والثقافية ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- أحمد بابا التمبكتي.
- ابن مريم المليتي.
- الزركلي.
- بروكلمان.
- عبد القادر زبادية[73].
- المقري وغيرهم .

وعدوه من كبار المصلحين ببلاد السودان الغربي وإفريقيا الغربية القرنين الخامس والسادس عشر ميلادي، مما فع بالكثير من تلاميذه إلى الحفاظ عن تراثه العلمي والأدبي وإلى نقل أفكاره وذلك عن طريق:

1- تدوين مخطوطاته التي تركها.
2- جمع أفكاره ونشرها في شكل كتيبات.
3- إعداد دراسات أكاديمية حول هذه الأفكار لبقائها والسماح لمن لم يره بالإطلاع عليها.
4- استغلال نظراته وأفكاره حول تنظيم الإمارة والملك في هذه الإمارات والتي جاءت بعدها.
5- ترسيخ النظرية المغيلية وتطبيقها على المجتمع وفقا للشريعة الإسلامية[74].

ولا يزال الكثير من حياة الإمام المغيلي غامضا لم نتوصل إليه ونستجليه ونستفيد منه، وهذا ربما عائد لعدة أسباب أوردها الأستاذ مبروك مقدم في مؤلفه حول حياة الإمام المغيلي وهي:

1- احتفاظ البعض بمخطوطات الإمام المغيلي معتبرا ذلك حفاظا عليها مع عدم توفر شروط الحفظ العلمية مما يؤدي إلى إتلافها وضياعها.
2- اعتماد العديد من أصحاب الظاهرة الكلامية على الكتابات الفرنسية وخاصة (الجبي مارتن) و(كوتي)، و(يكوف) اليهودي.في حين أن هؤلاء لم يكونوا نزهاء

عند تطرقهم لحياة الإمام المغيلي ولم ينظروا إليه على أنه مصلح وعالم وصاحب دعوة بل ،نظروا إليه على أنه ثائر على مجتمعه. ويركزون على معارضيه في تمنطيط[75].

إن الجهود التي أضافها المغيلي من الناحية الثقافية والسياسية والإدارية والقانونية ساهمت في :

1- إثراء المكتبة المغاربية والإفريقية بمجموعة من المخطوطات القيمة، والتي تتسم بالتجارب الميدانية.

2- تكوين ثلاثة أجيال بقيت لما بعده محفوظة لدى:

- طلابه وجلسائه في كل من مملكة الهوسا وباقي الإمارات الأخرى.
- لدى الدارسين على طلابه الذين نقلوا أفكاره عن طريق تلاميذه والمتمدرسين عليهم.
- الدارسين على طلاب طلابه. وهكذا وصل مد فكره وأرائه انطلاقا من القرن الخامس عشر ميلادي إلى بداية الألفية الثالثة، حيث لازالت مدينة كانو النيجيرية تعيش على أفكاره لحد اليوم[76].

يمكننا القول في الأخير أن الإمام المغيلي امتاز بالعلم الغزير والمشاركة في جميع أصناف العلوم .فهو يجمع إلى الإحاطة التامة بالفقه المالكي علوم المنطق.زد على ذلك أن الرجل كان من شيوخ الطريقة القادرية المبرزين.إن استقراره في حواضر السودان الغربي أثمر إنتاجا فكريا وعطاء تربويا يبعث على الانبهار والدهشة .إذ لم يبقى عالم ولا فقيه ولا صوفي ولاحاكم إلا غرف من معين هذا الرجل في القرن العاشر الهجري[77].

كما يمكننا أن نستشف من هذه الورقة مدى الجهود التي بذلها الإمام في سبيل إصلاح المجتمعات التي نخرها الفساد وخاصة المجتمع التواتي بعد أن تغلغل اليهود وتحكموا في زمام الحياة الاقتصادية وتعداه الى التأثير على الحياة الاجتماعية والسياسية،ناهيك عن طابع المواجهة التي اتبعها الرجل بعد نفاذ الحلول السلمية أمام اليهود والتي كلفته في الأخير فلذة كبده،ضف الى ذلك هشاشة الأوضاع السياسية في المنطقة عموما وتوات خصوصا، كما لم يقتصر مجال دعوة الأمام على توات بل تعداه الى حواضر السودان الغربي وكان له دور في إعطاء النصائح والتوجيهات لحكام مملكة سنغاي تهدف الى إرساء قواعد على أسس الشريعة الإسلامية تكون كضوابط تقيد العلاقة بين السلطة الحاكمة والرعية.

(*)**عبد الكامل عطية** attia-abdelkamel@univ-eloued.dz

[1]مقدم مبروك: الغمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية الغربية في القرن 19 و15 م،دار الغرب للنشر والتوزيع،الجزائر،ب ت،ص 25.

[2]مغيلة :قبيلة بربرية تقطن ضواحي تلمسان و الآن دائرة وبلدية تابعة لولاية تيارت.

[3]نفسه،ص25.

[4]نفسه.

[5]حاج أحمد نور الدين:المنهج الدعوي للإمام المغيلي،رسالة ماجستير(غير منشورة) جامعة الحاج لخضر ،باتنة،2011،ص26.

[6]مقدم مبروك:المرجع السابق،ص26.

[7]يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية،دار هومة للطباعة والنشرو التوزيع،الجزائر،2009 ،ص ص 63-64.

[8]مقدم مبروك:المرجع السابق،ص27.

[9]أحمد بابا:نيلالإبتهاج بتطريز الديباج،ج 1و2،ط1،إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة،كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس،ليبيا،1989م،ص576.

[10]مقدم مبروك:المرجع السابق،ص30.

[11]أبو بكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ،ط1،مكتبة التوبة،المملكة السعودية،1997م ص 102.

[12]احمد بابا:النيل،ص578.

[13]مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السوداني الغربي، دار المدار الإسلامي،ط01، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2005م،ص267.

[14]عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية،لبنان،1980،ص345.

[15]مطير سعد غيث : المرجع السابق، ص ص267-268.

[16]عادل نويهض: المرجع السابق، ص 290.

[17]نفسه،ص57.

[18]نفسه،ص 345.

[19]نفسه،ص 82.

[20]نفسه،ص 64.

[21]نفسه،ص 85.

[22]أحمد بابا: المرجع السابق، ص ص 577-578.

[23]محمد بن مريم التلمساني:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،منشورات السهل، دت،الجزائر،ص274.

[24]أحمد بابا: المرجع السابق، ص ص 577-578.

[25]يحي بوعزيز:تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية،المرجع السابق،ص 77.
[26]نفسه.
[27]جميلة محمد التكتيك:مملكةسنغاي في عهد الأسقياء محمد الكبير1493-1528،منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا،د ت،ص 185.
[28]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 64.
[29]نفسه.
[30]نفسه،ص 66.
[31]عبد الله مقلاتي: ورموم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية،ط01، الشروق الجزار، 2009،ص ص 70-71.
[32]نفسه.
[33]حاج أحمد نور الدين: المرجع السابق،ص37.
[34]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 66 .
[35]نفسه،ص 67.
[36]نفسه.
[37]نفسه.
[38]عائشة بوشفيق:الدور الفكري للمغيلي بتوات والسودان الغربي،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة تلمسان،2011،الجزائر،ص ص97-98.
[39]نفسه،ص 98.
[40]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 69.
[41]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 70.
[42]عائشة بوشفيق: المرجع السابق،ص 100.
[43]نفسه.
[44] أبي العباس الونشريسي : المعيار المعرب،ج2، اشراف محمد حجي،وزارة الأوقاف والشؤون ال سلامية،المغرب،1981 ،ص216.
[45]مقدم مبروك: المرجع السابق، ص29.
[46]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 71.
[47]نفسه.
[48]عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم :المرجع السابق،ص ص 84-85.
[49]الونشريسي :ج2،المصدر السابق، ص ص 214-215.
[50]نفسه،ص 225.
[51]نفسه،ص 232.
[52]نفسه،ص 236.
[53]نفسه،ص ص 252-253
[54]نفسه،ص ص 229.

[55]نفسه،ص ص 229-230.
[56]نفسه،ص ص 232-233.
[57]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 72.
[58]أحمد بابا:نيلالإبتهاج،المصدر السابق، ص577.
[59] السعدي عبد الرحمان:تاريخ السودان،الترجمة الفرنسية لهوداس،باريس،1981م ،ص39
[60]مطير سعد غيث:المرجع السابق،ص268
[61]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 73.
[62]نفسه،ص 73.
[63]حاج أحمد نور الدين: المرجع السابق،ص 52.
[64]يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 73.
[65]عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم :المرجع السابق،ص ص 126،128.
[66]نفسه،ص129.
[67] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء المؤسسة الوطنية للكتاب،1989،ص 159.
[68]عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم :المرجع السابق،ص 130.
[69]جميلة محمد التكتيك:المرجع السابق،ص 186
[70]مطير سعد غيث:المرجع السابق،ص269.
[71]جميلة محمد التكتيك:المرجع السابق ،ص ص185-186.
[72]مطير سعد غيث:المرجع السابق،ص269.
[73]مقدم مبروك:المرجع السابق،ص31.
[74]نفسه.
[75]نفسه ،ص ص 31-32.
[76]نفسه،ص 32
[77]الطيب الوزاني: مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقيا والمغرب الأقصى:أعمال ندوة التواصل:المرجع السابق، ص ص488-489.